

"إذا قالت حزام فصدقوها فنعم القول ما قالت حزام"

الكولونيل شربل بركات

وحزام هذه المرة هي السيد ريتشارد بيرل الذي قالها بكل صراحة مبشرا بحقائق سوف تطيح ببعض ما كان حتى الآن مرتكزات اعتاد عليها البعض وآمن بها غيرهم حتى أنها كادت أن تصبح قواعد بناء الشرق الأوسط لا بل السياسة العالمية . وها هو السيد بيرل الرجل الصريح والواضح يقولها بكل صدق، أن ما اعتدتم عليه ليس أبدا الواقع ولا هو الثوابت التي تبنى عليها الأمم وعلاقاتها، ومصير الأنظمة الديكتاتورية أكانت عسكريتارية أو دينية سواء، لأنها لا تعترف بحقوق شعوبها ولا تسعى إلى تطويرها لمجارات العصر واللاحق بالركب إنما لقوقعتها في دوائر معادية تتقاتل وتستلذ العنف وتجتر أبدا المتاهات التي لا أساس لها في نظام أو بناء، في دين أو دنيا، وفي أي مجتمع على مر العصور...

يقول السيد بيرل، وهو هنا يطمئن نصر الله بأن خوفه في محله، بأن الوضع، نعم، خطير. فصدام وديكتاتوريته من المؤكد زائلين، ولكن لا ليحل محلها، كما يتصور السيد نصر الله وأسياده في إيران، نظام شيعي متطرف على الطريقة الإيرانية أو "الحزبالايتية"، ولكن لتحل محلها حرية ترعاها القوانين وتصونها الموثيق، تعترف بالآخر وتعطيه حق الخلاف بالرأي والحد الأدنى من حرية المجاهرة به ضمن قواعد الديمقراطية حيث يتمثل الكل ويأخذ برأيهم ولا يفرض كل شيء بمشيئة قادرة عليا تتصور وتصور للناس بأنها وحدها تعرف أن تقود وأن حياة ومصير الشعوب كلها ترتبط بكلمة منها، كما هي الحال أيضا في سوريا وكما فرضت نفس هذه الحال على اللبنانيين .

يعترف السيد بيرل بأن هناك مشروعا أميركيا متكاملا سوف يطال صدام والعراق، بلا شك، ولكن ليس وحدهما، فحتى "الأمبراطورية" الإيرانية سوف تدعى لتغيير نظامها ونزع سيطرة الأئمة وإعادة الديمقراطية. وسوف تدعى سوريا أيضا للعودة إلى الديمقراطية، ولكن بعد أن تخرج من لبنان، نعم تخرج من لبنان، وتترك لهذا البلد العريق بالديمقراطية أن تعود له ديمقراطيته. وسوف يطلب منها أن تلمم أذيالها وأسلحتهم وتسلطهم الذي فرضوه، كما صدام بالقوة والإرهاب. وتغلق كل آثار الإرهابيين ومكاتبهم في دمشق والضواحي، وهذا ما يخيف السيد نصر الله بالتأكيد.

نعم وسوف تحل مشكلة فلسطين ويعطى لهذا الشعب الذي توجر بدمه لخمسين سنة وأكثر، حقه في الحياة الكريمة وليس إبقاءه وقودا لكل ثورة ومادة تجارة لكل طاغية يستغله ويستغل شعبه به أو باسمه.

نعم وسوف لن يزحف هذا الشرق مجددا نحو التخلف والتقهقر، وسوف لن يبقى متأخرا عن الأمم لا يفقه معاني التطور ولا يماشي العصر أو يتمتع بخيراته وخيرات الأرض لأنه لا يعرف أن يحاكيها أو يحثها ويستغلها وهو يقبع أبدا في ظلمات التاريخ حيث العنف والحدق منهله وإذا ما تحرك فذلك من أجل مزيد من الحق والعنف...

السيد بيرل تكلم بالفعل وطمان المصطادين بالماء العكر بأن أمريكا مصممة على إنقاذ العرب من أنفسهم ومن زعامات مهترئة مترهلة هي التي تستغل براءتهم أحيانا كثيرة وتبقي على جهالتهم أحيانا آخر.

أمريكا مصممة على تنفيذ مشروع مواز لمشروعها في اليابان بعد الحرب الكبرى أو في ألمانيا فهل يحلم العرب أن يتحقق لهم شيء من هذا في القريب العاجل؟ أم هم يريدون أن يبقى النير على أكتافهم ويبقى الخوف من رجال المخابرات ومن سجون السلطة هاجسهم مهما تغيرت الأسماء: من فيصل إلى الخميني ومن عبد الكريم قاسم إلى حافظ الأسد ومن صدام إلى عبد الناصر ومن نصر الله إلى عرفات... أسماء تتغير ومحاسيب وأرقام في أقبية السجون، ولكن هل تغير المصير مرة أو تقدم الشعب بالرغم من أنهار البترول وتطور التكنولوجيا وعدد الجامعات والألقاب العلمية التي تملأ بلاد العرب وهذا الشرق الأوسط؟

٢٠٠٣/٣/١٠